

الأميركيون والإرهاب

■ **حميدي العبد الله**

الجناح اليمينيّ المتشدّد في النخبة الحاكمة الأميركية والموالي له إسرائيل، في الكونغرس وفي الإعلام، والذي يحظى بتعاطف الرئيس الفرنسي وأعضاء حكومته، يهاجم إدارة أوباما ويحملها مسؤولية اتساع نطاق خطر الإرهاب وتعاطف وجوده في سورية، كون إدارة أوباما تقاعست في التدخل العسكري وتقديم الدعم الفاعل للمعارضة في سورية، ما أخل بتوازن القوى داخل المعارضة لمصلحة التنظيمات الإرهابية المتشدّدة، على حساب المعارضة «المعتدلة»، والمقصود بالمعتدلة المعارضة المرتبطة بالغرب.

آخر هذه الاتهامات ما ورد على لسان وزير الخارجية الفرنسي من انتقادات للدول الغربية التي أجمعت في آب الماضي عن شُرّ هجوم عسكري على سورية، والمقصود الولايات المتحدة وبريطانيا.

بمعزل عن مدى استجابة أوباما أو اعتراضه على هذه المقاربات، وما إذا كان تقاسم فعلا في تقديم الدعم إلى الجماعات المسلحة في سورية، أو أنّه على العكس قدم إليها ما لم يقدم في أي دولة أخرى، فهل إنّ تدخلاً عسكرياً أميركياً مباشراً بدعم من الدول الغربية الحليفة للولايات المتحدة ودول المنطقة التي تدور في فلكها، كان ممكناً أن يؤدّي إلى غلبة المعتدلين في المعارضة السورية على حساب المتطرفين المصنّفين إرهابيين في الغرب؟

تجارب الغرب على هذا الصنف تحمل جواباً واضحاً وقاطعاً. عزّت الولايات المتحدة العراق وأرسلت مع حلفائها الغربيين أكثر من 240 ألف جندي إلى هناك، لكن هل منع الاحتلال البرّي للعراق والذي استمرّ حتى عام 2011 وجود الإرهاب وامتداده إلى العراق وتصادمه في العالم؟

قبل الاحتلال الأميركي للعراق، تراجع وجود الإرهاب عربياً ودولياً وعلى مستوى المنطقة، وكان العراق خالياً من الإرهابيين، لكن بعد الاحتلال الأميركي تعاطف وجود الإرهاب عالمياً، وتوطّن في العراق، ولم يمنع وجود القوات الأميركية والغربية واحتلالها للعراق انبعاث هذا الإرهاب.

إنّ، لم يحصل ذلك البتّة، بل حصل العكس وفشلت القوات الأجنبية الممثلة في جعل الغلبة للمعتدلين، بل أورثت العراق ما يحصل الآن من أعمال إرهابية في مناطق واسعة فيه، وسيطرت المجموعات الإرهابية وفي مقدمها «داعش» على غالبية المحافظات الواقعة في غرب العراق.

التجربة الثانية في ليبيا، حيث ساندت دول الناتو، بقيادة الولايات المتحدة، المتردّين، وكان لها ولشركائها الأتراك وبعض الحكومات الخليجية دورٌ عبر التدخل العسكري المباشر في إسقاط النظام الليبي، إمّا هل نجمت عن هذا التدخل الغلبة للمعتدلين من المعارضين لليبيين؟ أم هي المجموعات المتشدّدة والمتطرّفة والمصنّفة منظمات إرهابية، وهي التي تصول وتجول الآن في ليبيا من دون رادع، وهي التي هاجمت مقرّ السفير الأميركي ووحدة الاستخبارات الأميركية في بنغازي، وقتلت السفير، وتحضّر الولايات المتحدة اليوم لغزو عسكري برّي لليبيا لضرب هذه الجماعة المتطرّفة الإرهابية!

إذا كان وجود 240 ألف جندي أجنبي وعلى رأسهم 140 ألف جندي أميركي لم يحوّلوا دول انتشار الإرهاب وتعاطف نفوذه في العراق، وفي المنطقة، وإذا كانت مشاركة الناتو في الحملة العسكرية على ليبيا لم تؤدّ إلى انتصار «المعتدلين» على المتشدّدين الإرهابيين الذين لا يسمح لهم بتعيين رئيس للحكومة، فكيف يمكن أن يحدث ذلك في سورية؟ علماً أنّ الذين يدعون إدارة أوباما إلى العدوان العسكري المباشر على سورية لا يملكون تكرار تجربة العراق، وإرسال قوات برية إلى سورية، إذ أمر لا يمكن تسوية، إمّا يطالبون بتكرار تجربة ليبيا، فهل ستكون النتائج في سورية مغايرة للنتائج في ليبيا؟ مع الأخذ في الاعتبار أنّ المنظمات المتشدّدة الإرهابية منذ البداية في سورية هي الأكثر قوة والأكثر تسلّطاً والأكثر تسليحاً بين الجماعات المعارضة.

في ذكرى النكبة...

تبقى فلسطين محور النضال وجوهره

■ **واصف شرارة**

شكّلت قضية فلسطين ولا تزال محور نضال الأمة فكانت الجوهرة الأساس في العقل والضمير العربي والمركز والمحور في أي عمل قومي، وكانت ولا تزال عنواناً لغياب العدل عن كوكبنا، وخير دليل على موت الضمير العالمي، ورمزاً للجرح الذي لا يبدأ عند كونها جريمة في حق شعب يعيش في الشتات... وعلى الفغات، وكوفيّة يغفرون ألوانها كلما تغيرت الظروف.

بكلمة موجزة كانت فلسطين ولا تزال وستبقى قبلتنا وبوصلتنا نضالنا رغم أن الكثير من العرب الأعراب لامهون عن فلسطين يقاتلون من يحمل همّ فلسطين...

إنّ الأمة وهي تواجه الخطر على مصيرها، وبعد مرور مئة عام على الحرب العالمية الأولى 1914 . 1919 ولعنها أثمرت تقسيم المشرق إلى دويلات لا يملك بعضها مقومات الحياة من معاهدة سايكس بيكو 1916 إلى وعد بلفور المشؤوم 1917 الذي أسس لأكبر مأساة شهدها القرن العشرين، ولا تزال فضولها تتوالى على أرض فلسطين من خلال الممارسات العنصرية الحاكمة للكيان الصهيوني ونهجه العدواني الاستحصالي ضد الشعب الفلسطيني الذي يواجه منذ ما يزيد على ستين عاماً مختلف صنوف المجازر والحصار والإبادة. إنّ الأمة مدعوة للنتبهة إلى حقيقة ما يحاك ويدبر لها في إعادة رسم سايكس بيكو جديد مفصل على مفاص الإطعام الصيوي-أميركية.

إنّ الخطر المحقق يامتدأ بتجاوز التقسيم إلى التفتيت، وهذا الخطر لا يهدد بل وحدها بل يهدد لبنان والعراق واليمن وليبيا والجزيرة العربية، بعدما أضاع العربان هويتهم الواحدة، في حين يمضي الضعدو «الإسرائيلي» إلى إعلان كيانه «دولة يهود العالم» ويحضر نفسه ليكون الدولة الوحيدة في المنطقة التي يتوزع أهلها قبائل وعشائر ومذاهب وطوائف لا هوية موحدة ولا مرجعية واحدة بعدما أفقدوا أنفسهم هويتهم القوية والمستقرّة.

إنّ الختلى عن العروبة كهيبة جامعة هو المدخل إلى سلسلة من الحروب الأهلية بين الأخوة، كما أن التركيز على ضرب الهوية القومية هو مقدمة لضرب الهوية الوطنية وتمزيقها، وهو السبيل إلى دخول قصص الخرافات السابقة، ومنها سايس بيكو بلا أمل في الخروج من هذا القفص الذي يسقي أكثر فاكتر على كل من يمسك بهويته وسيادته واستقلاله وكرامة أمته وشعبه.

إنّ التمسك بخيار المقاومة وبالانتماء القومي، يجب أن يكون عنوان الثقافة التي يجب نشرها في المجتمع. إن حركة شباب وسواب الأيسر للمطالبة بتحرير سمانتا من علم العدو إمنا يؤسد لمسار جديد يؤكد على قومية المعركة وقومية الانجاد وقومية الشعور، وهذا ما يسعى العدو وجميع العملاء لنيل منه. ولأن شعار «العروبة أولاً» يلغي سائر الأيديولوجية المذهبية والعرقية والدينيّة والمناطقية، ولأن الختلى عن الانتماء القومي ليس هو الحل بل العكس هو الصحيح، ولأن الحل في العروبة وعند العروبة، لا تستطيع قوّة في الدنيا أن تقطع مشاعر الانتماء وصلات الارتباط بالهوية الوطنية والقومية أو تلغي أحاسيس المشاركة والتفاعل بين أبناء ثقافة واحدة ولغة واحدة وتاريخ واحد ومصير واحد، ففي قوّة الانتماء تكمن قوّة الإرادة وقوّة التحدي لأي مشروع

البشاء

يستهدف شطب الهوية ويلغي الانتماء ويؤزّف الواقع بعدما فقد البعض البوصله والاتصاع الطريق وأصبحت العروبة عندّه تهمة يلاحق حاملها والمناذي بها، كما أضحّت الوحدة سرايا وكل قطر مهدد بالانشطار.. وإلا فالفتن جاهزة وبالمرصاد وقد فعلت فعلها في العراق واليمن على الطريق، وليبيا والسودان ليستا بعيدين عن ذلك، أما الصومال فحدث ولا حرج مظلما هو لبنان حيث العروبة غائبة عن مشاريع تجديد نظامه الطائفي، ويبروت التي لم تتردد في يوم من الأيام في الوقوف في طليعة المدافعين عن قضايا الأمة، والتي كانت الملجأ الأول والأخير لكل مناضل قومي أبعدت نغامت القمع في أي بلد آخر، بيروت هذه التي تتوافق على إرث الخطاب القومي والتي احتضنت كل حركات التحرر العربية وبذغت ضريبة الدم في الدفاع عن كرامتها... أين هي اليوم؟!

إن دم الشهداء والشهداء واحد، لافرق بين دم يراق في العراق أو فلسطين أو سورية أو أي أرض عربية، فالجريمة التي تستهدف الأمة وتعمل على تفتيتها هي واحدة والهدف واحد، منع العرب من التوافق والاتفاق من خلال إشغال وإشغال الداخل العربي أو من خلال نفخ رماذ المشاكل المعلقة بين العرب والتي كان الغرب أساسا في خلقها واختلافها.

ولم يعد خافيا ذلك الدور المشيود المعادي للعروبة لدى بعض القوى التي أرادت أن تنشؤ التاريخ وتدمر جسور التواصل بين الشعوب والحضارات من خلال الاستعداد المنظم والتآمر المفتوح على العروبة وتاريخ العرب ودورهم ووجودهم وحقهم المشروعة والنهوض والتحرر والتقدم، بعدما عمدت إلى إعادة ترتيب الأوراق ورسم الأكيات الجديدة لمشاريعها التي تستوحى التمزيق منهاج والفرقة سياسة وإثارة العنرات والاتقسامات أداة لضرب مشاريع التوحيد أو التضامن أو العمل العربي المشترك بكل مؤسساته ومستوياته، على خلفية تعريب الصراع ومصادرة الإرادة وإحباط الدور الفاعل للثروة العربية وفق مخططات هنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركية الأسبق وأحد مهندسي عالم الهيمنة اليوم.

إذا كانت التكتلات العالمية الجديدة عززت الهوية القومية والوطنية للبلدان الداخلة في هذه التكتلات إلا أنها لم تجنح نحو الكيانية الضيقة، وها هي الدول الأوروبية في توحدها ضمن منظومة الاتحاد الأوروبي لم تفرط بهويتها ولم تستطع رباح العولمة أن تقطع منها خصوصياتها وثقافتها، فالقومية تحفظ وتحافظ على خصوصيات مكوناتها ولغاتها وتمايزاتها، بينما يطالب الماعدون العروبة بأن يرقّز العربي هويته القومية والوطنية كشرط للتغيير وأن يغير العربي جلده وحمته ولسانه!

سنبقى على إيماننا بعروبتنا، وسنبقى نرى الحل في العروبة، فهي وحدها الجامع بين مكونات أبناء الأمة ووحدها تحمل الكيفية العروبة هويتنا ومصدر أماننا اليوم وغدا. سنبقى وسنظل على إيماننا بفلسطين وسنبقى نعمل لإنجاز المشروع القومي النهوضي التي يعيد إلى أمّتنا وحدتها وأرضها المحتلة بما يمكنها من السيطرة على فرواتها والحفاظ على حرية أبنائها وكرامة شعبها العربي بعيدا عن أي ميمنة خارجية...

بلى، العروبة في خطر، والأمة في محنة، والأعراب هربوا من أعباء عروبتهم، لكنّا عرب وسنبقى عربا. علينا أن نناضل مع العروبة ومن داخلها لكي نتأكد هويتنا بالانتماء إليها ولكي ننصرح بها.

آراء

كي لا ننسى نكبتنا...أسرانا...أقصانا

■ **راسم عبيدات-القدس المحتلة**

نكبة شعبنا، رغم مرور ستة وستين عاماً، ما زالت مستمرة ومتواصلة، وما زال الاحتلال يمارس أشكال القهر والظلم والتطهير العرقي في حق شعبنا الفلسطيني على طول مساحة فلسطين التاريخية وعرضها، فالاحتلال الذي جاء إلّ أرضنا ووطننا تحت شعار خادع ومضلل وكاذب، متسلحا بدعم وإسناد من القوى الاستعمارية وفي مقدمها بريطانيا «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» ما برح قادته يحملون بان كبرياء وسيوتون وصغارنا سيئسون، وبأنهم يملكون بان بان يصحوا على ابتلاع البحر شعبنا، في سير عكس التاريخ ومنطقه وقوانينه، فهذا الشعب الذي تعرض للنكبة ما انفك يسكنه حلم العودة، ويحتفظ بكباره بمفاتيح العودة ويصونونها بحدقات العيون. كذلك هم الشباب والأطفال، وما حصل في مسيرة العودة لقرية لوبيا المهجرة التي شارك فيها الآلاف من أبناء شعبنا تثبت أن هذا الشعب لن يتخلى عن حلمه بحق العودة لوطنه، وهذا الحق لن يسقط بالتقدم وسيورنه شعبنا لأبنائه جيلا بعد جيل.

يعمن الاحتلال في سن القوانين والتشريعات الهادفة إلى الإيقاع في دولته يهودية تقيّة، ويصعد على نحو جنوني مخططات التهوديد في الجليل والنقب والمثلث والقدس والضفة الغربية، ويريد أن يحسم مسألة السيادة على الأرض لكي يبدد حلم شعبنا في الحرية والاستقلال وإقامة دولته المستقلة وحقه في العودة إلى دياره التي شرد منها بفعل الطرد والتهجير والجرائم التي مارسها في حقه العصابات الصهيونية، ورغم ذلك يتوالد شعبنا ويتزايد ويتشبث بالبقاء والوجود على أرضه، ولن يسمح للاحتلال بتفنيذ نكبة ثانية فيه، فالشعب الفلسطيني مثل طائر الفينيق يخرج من تحت الرماد، كل يوم أقوى وأكثر عزما وصلابة وتصميما على نيل حريته وحقه في العودة إلى دياره التي شردّ منها.

مهما يكن حجم المؤامرات التي تُردّد ارتفع وتآهرا في الفترة الأخيرة، مستفيدة من حالة الضعف الفلسطيني والانهيار العربي وتواطؤ بعض الأطراف العربية مع الأعداء المتلاصقة على حوقنا ومشروعنا الوطني، فإن ذلك الشعب لن يلبث ولن يتكسر وسينال حقوقه وحرته مهما طال الزمن أو قصر، فالناريخ يعلم أن الاحتلال زائل مهما طال أو قصر.

إنّ لاحتلال لا يقدّم أي تنازلات جدية تلامس الحدود الدنيا من حقوق شعبنا الفلسطيني في دولة فلسطينية مستقلة على كامل حدود الخاسم من حزيران 1967، بل يريد منا أن نستمر في التفاوض معه، ويستغل تلك المفاوضات ليغير ويفرض الحقائق والوقائع الجديدة على الأرض، وفي سائر المفاوضات والاتفاقيات بين المحتل والشعوب الواقعة تحت الاحتلال كان الاتفاق يتم على تحرير الأسرى، وهكذا حصل بين الجزائر وفرنسا عندما نالت الأولى حريتها واستقلالها عام 1962. كذلك بين الفيتنام وأميركا عام 1973. إلا مع شعبنا الفلسطيني، ورغم قصور قيادتنا في هذا الجانب، إلا أنّ الاحتلال نظر إلى ملف أسرانا، ليس على أساس أنه قضية إنسانية يجب التوقف عن استغلالها، بل رأى فيها قضية سياسية يجب أن يستمرها في الضغط على القيادة الفلسطينية لتقديم تنازلات وتمن سياسي، وشهدنا ذلك خلال العقود الماضية في المفاوضات الأخيرة، فرغم الاتفاق على إطلاق سراح أسرى ما قبل أواسل 104، وجدنا الاحتلال كيف مارس السياسة للإبزاز في هذا الملف، إذ إن مقابل كل دفعة من الأسرى خُزروا إلى فرض معادلة جديدة (أسرى مقابل استيطان) ورفع من وتيرة ابتزازه في الدفعة الثالثة عندما تلاحب في تاريخ الإفرج وأسماء الأسرى المفرج عنهم، ولتبلغ بلطحته وعجبيته ذروتها في رفضه إطلاق سراح الدفعة الرابعة ما لم

يتوافق الطرف الفلسطيني على تمديد المفاوضات، وأن تطلق أميركا سراح الجاسوس «الإسرائيلي» بولارد، ولم يطلق سراح تلك الدفعة حتى اللحظة الراهنة، ولإذنه الاحتلال وأحزابه في خطوة ذات أبعاد خطيرة، إن اتخذ قرارا بعد الموافقة عليه، قدمه أعضاء من أحزاب «إسرائيل بيتنا» و«البيت اليهودي» و«اللكود»، بمنع إطلاق سراح أسرى فلسطينيين من ذوي الأحكام المؤبدة أو تخفيف مدة حكم أسرى لإطلاق سراحهم. أوضاع أسرانا في سجون الاحتلال تزداد صعبية وخطورة، والاحتلال يشن عليهم هجمات متصاعدة، لكسر إرادتهم وتطويرها وتحطيم معنوياتهم والسلو على منجزاتهم ومكتسباتهم، كي تصل تلك الجرائم إلى حد جرائم الحرب.

اليوم، يخوض أسرانا من المعتقلين الإلداريين

إضرابهم المفتوح عن الطعام الذي يدخل يومه العشرين، رغم أن هناك من فضى على إضرابه، مثل الأسير الإلداري أيمن طييش، أكثر من 76 يوما والأسير عدنان شايبه نحو خمسين يوما، بخوضهم معركة الأمعاء الخاوية، لنيل حريتهم إذ يحجزون ويعتقلون وفق ملفات سرية من دون محامّة في كاسيف والمثلث على رقبأ أسرانا، إذ منذ اعتقال العشرات منهم أكثر من مرة وعدة مرات تحت طائلة هذا الملف السري، الذي لا يحتوي غالبا سوى أكاذيب وتقارير خادعة ومضللة ومفبركة من قبل الأجهزة الأمنية «الإسرائيلية»، لكي تبقى على أسرانا إلى كياسة الغزل الحجرية من خلال الاعتقال الإلداري، ذلك الاعتقال الذي يشك انتهاكا لكل مفا سافرا لجميع الأعراف والمواثيق والقوانين والاتفاقيات الدولية.

ولذا علينا أن نثقف إلى جانب أسرانا في معركتهم، معركة الأمعاء الخاوية، ومن خلال شرحنا وموجود «لا للاعتقال الإلداري... والحرية لأسرانا في سجون الاحتلال»، شعار يجب أن تلقف وتتوافق عليه جميع ألوان الطيف السياسي الفلسطيني، وعليّا ألا نرفع أي شعار آخر في النشاطات والمؤتمرات والمهرجانات والفعاليات الداعمة لأسرانا في مطالبهم، من شأنه تقثيت وحدتنا والإضرار بقضية أسرانا المضربين عن الطعام والاتفاقيات الدولية.

أقصانا يدخل مرحلة الخطر الجدي، ولا نريد «اجتسار» السلام حول مدى خطورة الممارسات والإجراءات «الإسرائيلية» في حقه، فالخفريات حوله وأسفه مستمرة وبوتيرة عالية، وطالت أساساته وعلى نحو يهدد الأقصى وجدرانها بالانهيار، كما تحوطة الكنس والمدارس التوراتية من كل جانب، وعمليات اقتحامه تتم على مدار الساعة ويتزعمها نواب وأعضاء كنيسة، لإقامة صلوات وشعائر تلمودية وممارسة الشؤذ الجنسي واللااخلاقي في ساحاته، ويرافق ذلك رفع الإعلام الصهيونية في ساحاته، ويبلغ الأمر ذروته برقع النائب الصهيوني المتطرف موشيه فيجلين العلم «الإسرائيلي» فوق قبة الصخرة، وتنداول القوانين والتشريعات في أزقة الكنيسة والمحاكم الصهيونية، لتشريع التقسيم الزماني والمكاني في الأقصى بين المسلمة أصحاب الحق الحضري والشعري في هذا المكان المقدس للمسلمين ولطعان المستوطنين وجمعياتهم الاستيطانية التي تزعم وجود هيكل زائف مكان أقصانا.

لكن في نفسى الاحتلال الذي يشن علينا حرباً شاملة على مختلف الجبهات، كي يكسر إرادتنا ويفقدنا الثقة بعدالة ومشروعية نضالنا وحقوقنا ومشروعنا الوطني، وفي ظل هذا الخطر الداهم المستهدفا من كل شوي، فإن إنهاء الانقسام وتحقيق وحدتنا من العوامل المهمة في صمودنا ومقاومتنا وتحقيق انتصارنا، ولا مناص من إنهاء الانقسام وتحقيق الوحدة لكي ننصر.

التقرير الأسبوعي لمراكز الأبحاث الأميركية

أوكرانيا؛ اختبار لغلبة بوتين على محاولات الاستدراج والتطويق الأميركية

الدور المركزي للرئيس فلاديمير بوتين في إعادة نبض الحياة إلى روسيا وتعزيز هيبتها ليس محط جدال ومانقشة، لا سيما في ظل الازدراك الجمعي لدول العالم وقادته أن روسيا «تستعرض» عضلاتها العسكرية والاقتصادية لتحقيق مآربها في ظل ولاية الرئيس بوتين. بعض المكونات السابقة للاتحاد السوفياتي تنظر بقلق شديد إلى ما يجري في أوكرانيا وإمكان تشطبه إلى عدة مقاطعات متناثرة. ويكثر الحديث عن «نهضة الدب الروسي بعد سبات عميق» للدلالة على عمق القلق داخل أوساط بلدان أوروبا الشرقية، آخذين في الاعتبار الفارق الزمني والجيوسياسي لما كان عليه الإمبران نفوذ الاتحاد السوفياتي السابق. فما تبقى لروسيا اليوم من نفوذ لا يقاس بسياقه الاتحاد السوفياتي، خاصة لتقلص مساحة الجغرافيا وما ينجم عنها من تراجع في الموارد الصناعية، وبروز مؤسسات وهيكله للدولة خالية من إجراءات الفساد السابقة، فضلا عن أقدمية العامل البشري. وبالمقارنة، وضع حلف الناتو ميمز بحجمه الإقتصادي والعسكري لدى النظر إلى الأرقام والإحصائيات الجامدة. واستنادا إلى القاعدة القائلة بأن القوة والهيبة العسكرية هي نتاج القوة الاقتصادية، فإن حلف الناتو يتفوق على روسيا اليوم، خاصة لدى الأخذ في الاعتبار أن عدد من دول حلف وارسو المنحل انتقلت إلى عضوية حلف الناتو، وبعده واضح لروسيا.

يعتبر الخبراء العسكريون في الغرب أن روسيا لا تزال تسعى إلى اللحاق بالالتقنية العسكرية الغربية، رغم تنامي استثماراتها في هذا المجال، وإقارهم بأن روسيا حققت بعض التقدم على خصومها الغربيين في بعض الأسلحة كتقنية الطائرات المقاتلة والدفاعات الجوية وشؤون الفضاء، بيد أنها لا تستطيع الضخ بميزد من الأموال والاستثمارات في مجالها أخرى. ويشير هؤلاء إلى أحدث مدركة في سلاح البر الروسي، تي-90، فالإقبال على شرائها بقي محدوداً مع تحويل الجيش الروسي أولوياتها إلى تطوير الجيل الجديد منها، تي-99. كعربة قتالية متعددة المهمة ومن المقرر أن تدخل الخدمة الفعلية عام 2020.

تتفاقم هجوم روسيا لتحديث أسلحتها، وفق أولئك الخبراء، مع عدم قدرتها على التغلب على ارتفاع كلفة الإنتاج وحل المصانع الحربية الراهنة. ويشيرون إلى رغبة سلاح الجو الروسي بتحديث أسطوله من مقاتلات ميغ-29 إلى النموذج الأكثر تطوراً، ميغ-29سي إس إم تي، والعيارات الممالية التي واجهته لإخلائها الخدمة ضمن الفترة الزمنية المنشودة. وبشأن أيضا أن لن تراكم عدد من التحديات أثناء فترة التصميم ومراقبة الجودة أدت إلى تأجيل تسليم نحو 37 مقاتلة من طراز إسب يو – 35 إلى نحو سنتين إضافيتين، والتي لن تدخل ترسامة إنتاج الجلو الأمع 2016.

كما اضطرت روسيا إلى النظر خارج أراضيها لاستيراد بعض الأسلحة المتطورة لجسر الهوة القائمة في تحديث تقنياتها، منها طائرات الدرويزن من الكيان «الإسرائيلي»، وعربات مقاتلة خفيفة القتية من طراز أيتكو الإيطالية، وسفن ميسترال البرمائية من فرنسا. وقد تتضرر جدالو تسليم تلك الأسلحة نتيجة الحوادث الأوكرانية والضغط الأميركية على حلفائها الأوروبيين لمعاينة روسيا.

يشار أيضا إلى المتاعب الإضافية التي واجهت روسيا في عملية تحديث مراحل الإنتاج العسكري كافة الناجمة عن خروج بعض المكونات السابقة للاتقنية السوفياتي عنها، والتي احتفظت بالبنى التحتية المصانعة لإنتاجية على أراضيها وحرمت روسيا من استغلالها، بينما احتفظت داخل أراضيها بالبنى القديمة لمصانع الإنتاج. وشهدت تلك المرحلة بعد سقوط الاتحاد السوفياتي تقصصا كبيرا في موازنة الدفاع الروسية، وبلغ الحد أدنى مستوياتها في المشتريات العسكرية عام 1998 إذ لم تستطع شراء إلا نحو ما معدله 10 مدركات و 30 عربة ناقله للجند سنويا.

جيش روسي عصري محترف

ذهب القسم الأكبر من طرفة الإنفاقات العسكرية في السنوات الأخيرة إلى القطاع البشري ضمن سعي روسيا الطموح إلى بناء جيش عصري محترف،

التوجهات السياسية للطرفين، وانخراط أوسع لحلف الناتو في أعمال المراقبة العسكرية على الشواطئ والحدود المشتركة لأوروبا مع روسيا، وما يتطلبه ذلك من زيادة دول الحلف لفعاليتها العسكرية لتحقيق توازن وتعادل في قوة الأرع.

واستدراج سياق تسلح بين الطرفين يضاعف مفاقمه الأوضاع الاقتصادية المتردية أصلا.

يذكر أن أسواق السلاح الفردي في الولايات المتحدة استوعبت أسلحة رشاشة روسية الصنع من طراز كلاشيكوف أي-كي هـ -47. لعام 2013، أعلى من مشتريات الجيش الروسي وقوات الشرطة الروسية مجتمعين للسلاح ذاته. ومن الجانب أن الحكومة الأميركية ستلجأ إلى مقاطعة المنتجات الروسية لحرمانها من حصة السوق ومردودها المالي المعثر.

المستقبل يعيون حلف الناتو

بروح حلف الناتو في دائرة ردود الفعل في مسعاة للثبات على استراتيجية محددة للرد على التحركات الروسية، ولا تدبو عليه علامات الجوهزية للتضحية بالاستثمارات الاقتصادية والتقنية التي سيجتها مع روسيا لفترة طويلة استجابة للرغبة الأميركية بفرض إجراءات عقابية قاسية، إذ أن المصانع الأوروبية ستكون أول من يدفع اللغن، كما عبرت عنه الشركات الألمانية بامتعاض كبير، وتعني جيادا مدى اعتماد اقتصادياتها على توريدات الغاز الروسي لإدامة دوران إنتاجية المصانع. أما الولايات المتحدة فتقدمت بشكل رئيسي على التعاون مع روسيا وتقنياتها في شؤون الفضاء الخارجي لنقل الإمدادات من وإلى محطة الفضاء العالمية. فضلا عن تعويل الولايات المتحدة على التعاون الروسي التام في توفير التسهيلات اللوجستية المطلوبة لانسحاب قواتها بسلام من أفغانستان.

عمدت الحكومة الأميركية على إظهار جانب التحدي لروسيا بإرسالها أسراب من طائراتها المقاتلة، من طراز إف15- وإف16-، للمرابطة في أجواء بولندا ودول البلطيق؛ ونشر قوات من مشاة البحرية والمظليين وطائرات النقل العملاقة، تي-130- في بولندا وقوات أقل عددا في رومانيا لطامة قيادات كل الدول بجديّة قراراتها؛ بدعم وسامعة بريطانية وفرنسية ودانماركية، فضلا عن تحريك عدد من قطعها البحرية للمرابطة على شواطئ البحر الأسود. ويذكر الطرفين المتقابلين، حلف الناتو وروسيا، أن تلك القوات غير مؤهلة بحد ذاتها للدخول في مواجهة حقيقية، بل كتمهض بريد روسيا عن بسط نفوذها غرب حدودها الإقليمية.

نشرت الولايات المتحدة أيضا تقاريرها من طراز الإنذار المبكر المتطورة في عدد من دول أوروبا الشرقية لمراقبة حدودها. ما يوفر لها القدرة على تحريك سريع لقوات قتالية عند الحاجة؛ وأقيمت على موعد إجراء مناورات مشتركة بين قوات حلف الناتو والقوات الأوكرانية. الأهم أن الولايات المتحدة لم تتحل أو تتراجع عن استراتيجيتها بنشر نظام الدفاع الصاروخي على أراضي أوروبية قرب الحدود الروسية، رغم رسالتها السابقة بالتطمين والعزوف عن ذلك؛ وفي السياق ذاته قد تذهب أيضا إلى نشر منظومات مضادة للصواريخ الباليستية في أوروبا الشرقية أيضا.

الاستراتيجية الأميركية لمحاصرة روسيا استوعبت «ترميم» علاقات دول حلف الناتو مع تركيا التي تملك أكبر جيش من عدد بين دول الحلف، واستعادة وظيفتها ككيان يمنح الحماية على مستوى نياحة عن الولايات المتحدة يتعدى استضافتها عددا من القواعد الأميركية العسكرية والجوية والبحرية كمنصة انطلاق روسيا.

كما تستدعي الاستراتيجية الأميركية ابتعاد اعتماد أوروبا على مصادر الطاقة الروسية، والذي سيستغرق وقتاً طويلاً، في أفضل التوقعات، والتأهب لتصدير موارد الطاقة المستشفة حديثا في القارة الأميركية إلى أوروبا، واستمرار تحكمها في مصادر وطرق تسويق الطاقة المدفونة في عمق الأرض العربية. الشق العسكري في الاستراتيجية الأميركية ما فتئ؛ يطالب الحلفاء بزيادة مصهم للإنفاق على الشؤون الدفاعية تحت ذريعة «مكافحة إرهاب القاعدة